

عنوان المداخلة: دور الأدب الشعبي في التنمية المستدامة - منطقة وادي سوف أنموذجاً -

بن ناصر سعاد (باحثة في طور الدكتوراه) جامعة غرداية -الجزائر -

طرفاية أمال (باحثة في طور الدكتوراه) جامعة غرداية - الجزائر -

البريد الإلكتروني: souad89ben@gmail.com + ameltarfaya@gmail.com

إلى اللجنة العلمية للملتقى الدولي الموروث الثقافي والسياحي ودوره في خدمة التنمية المستدامة
يومي 11-12 نوفمبر 2019.

الملخص: تتموضع الثقافة الشعبية ضمن البعد الثقافي للتنمية المستدامة باعتبارها تراثاً شعبياً وافداً
إلينا من أجيالنا السابقة وتتصف الكثير من عناصرها بالديمومة في الزمن الحاضر ولها القدرة على
الاستمرار في المستقبل، لذلك فإنه بإمكاننا أن نجد فيها الحلول لكثير من مشاكلنا المطروحة حالياً
بشدة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. لذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية الربط بين الثقافة
الشعبية والتنمية المستدامة، ذلك لأن التراث ليس مجرد تذكّار من وحي الماضي بل له قيمة استدامة
من أجل تفعيلها ودمجها في الحراك التنموي في هذا العصر. ولهذا يسعى البحث إلى استنطاق ثقافة
وادي سوف وعلاقتها بالفاعلية الاستدامة التي تستفيد منها حالياً وفي المستقبل لحل مشاكلنا
الأساسية الاقتصادية والاجتماعية، وتوفير مناصب العمل وفض النزاعات، ونشر الأمان والسلام
الاجتماعي، والمساهمة في الحضارة الإنسانية من خلال التنوع الثقافي الشعبي.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الشعبية- التنمية المستدامة- وادي سوف - الشعر الشعبي - الحكايات -
الأمثال -الفاعلية.

Abstract:

Popular culture enjoys a placed within the cultural dimension of sustainable development as a popular heritage of our past generations. Many of its elements are characterized as sustainable in the present time and potentially continue in the future. Therefore, it may give solutions to many of our current economic, social and environmental problems. Accordingly, we will attempt, through this paper, to link popular culture with sustainable development. What motivated us to conduct this research is the assumption that heritage is not merely a souvenir inspired by the past, but rather it has a sustainable value that can be activated and integrated into the developmental movement of this age. Hence, the present study aims at exploring the culture of Wadi Souf and its relation to the sustainable efficiency that is solving, and will endure to solve, our basic economic, social and environmental problems, providing jobs and resolving conflicts, spreading safety and social peace, and contributing to human civilization through popular cultural diversity.

Key words: Popular culture, sustainable development, Wadi Souf, Popular Poetry, Tales, sayings, effectiveness.

تمهيد :

تندرج الثقافة الشعبية ضمن البعد الثقافي الرابع للتنمية المستدامة، حيث يعتبر مجال الثقافة الشعبية خصبا ومعنيا مباشرة بها، بالتفعيل والتحريك، ضمن تفاعلات البعد الاقتصادي والاجتماعي، وتمنح التنمية المستدامة الثقافة الشعبية إمكانيات كبيرة لاستمرار حياة عناصرها عبر خط استدامة مستقيم ينطلق من الماضي و يمرّ بالحاضر نحو آفاق المستقبل تحقيقا لمتطلبات الأجيال وفقا لمقتضيات العصر والتنوع الثقافي والإنساني مع المحافظة على الهوية وحماية المجتمع من زحف العولمة والذوبان في ثقافة وهوية الدخيل الغربي.

فمخاوفنا تزداد يوميا على مصير ثقافتنا الشعبية من حكم وأمثال وألغاز وحكايات وغيرها أمام ثقافة العولمة التي تقضي على الخصوصية الثقافية المحلية للمجتمعات العربية المستهدفة من طرف قوى عالمية حاملة لثقافات مختلفة مهيمنة بقوة التطورات التكنولوجية والرقمية والاتصالية. لذلك وجب التفكير في بحث استدامة الأدب الشعبي وإبراز قدرته الذاتية على الفعل والتأثير ومقاومة الثقافات الوافدة والتكيف مع الصالح منها لمجتمعنا وإبراز إمكانياتها الخصبة للمساهمة في بناء الثقافة الإنسانية بتنوعاتها الثقافية بعامة.

وتزخر ولايات الجزائر بمقومات تراثية كبيرة جدا على رأسهم المنطقة الصحراوية المشهورة ولاية وادي سوف هذه المنطقة التي كانت ولا تزال تمثل أنموذجا حيا منذ القدم للثقافة الشعبية. ومن هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية تتناول دور الأدب الشعبي في التنمية المستدامة منطقة الوادي أنموذجا والذي نسعى من خلاله إلى استنطاق القدرات الكامنة في الأدب الشعبي لاستثمار عناصرها في مجالات التنمية المستدامة ضمن خصوصية المجتمع المحلي على مستوى المعرفة والقيم وأنماط السلوك وعلى مستوى الاستجابة لمتطلبات الحياة المادية والمعنوية للإنسان.

وانطلاقاً مما سبق نسعى من خلال هذه الورقة البحثية للإجابة عن التساؤل الرئيسي الآتي:

كيف يساهم فولكلور (التراث المحلي) في ترقية التنمية المستدامة في منطقة الوادي؟

وقصد الإلمام بمختلف تطلعات هذا البحث سيتم التركيز على المحاور الآتية بالدراسة والتحليل:

أولاً: فاعلية الشعور الشعبي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية (تعزيز الروابط الاجتماعية وغرس القيم).

ثانياً: فاعلية الحكايات (تحفيز الجماعات، ودعم النشاط الاقتصادي).

ثالثاً: فاعلية الأمثال (التنمية وتقديس العمل)

رابعاً: فاعلية الأغاني (تنشيف الجماعة)

أولاً: فاعلية الشعور الشعبي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية

1- فاعلية الشعور الشعبي في التنمية الاجتماعية:

ظل الشعور الشعبي محركاً للتنمية الاجتماعية ولصيقلها على الدوام، فقد دفع الشعراء بقصائدهم المؤثرة التي لا يكاد يخلو منها مجلس أو مناسبة الجماعة الشعبية إلى التمسك ببعضها البعض وتعزيز الروابط الروحية بين أفرادها وتقوية الدم والعصبية والدفاع عن الحمى والوطن ودعم المجاهدين ومقاومة الاستعمار. كما جاء هذا الشعور مؤججاً لعواطف الحب والزواج والحنين إلى أرض الوطن بسبب الغربة ومعزراً لروابط الأخوة وأواصر التكافل والتضامن وداعياً إلى التحلي بصفات الكرم والفضيلة والتمسك بالأعراف والعادات والتقاليد والدين على نحو يجعل من سكان وادي سوف كيانا اجتماعياً ثرياً قائماً بذاته.

وشكلت الروابط الروحية في مجتمع وادي سوف دعامة قوية للحفاظ على الجماعة الشعبية بمفهومها التقليدي المتوارث عبر الأجيال. فالمجتمع السوفي مجتمع مسلم منذ تواجد أفرادها في هذه الأرض الصحراوية، ولكنه كانت تتوزعه غالبا الطرق الصوفية مثل القادرية والتيجانية والرحمانية والعزوية وغيرها مع هيمنة واضحة للطريقتين الأولتين. والانتساب للطرق كان ولا يزال، يعدّ من مستلزمات العقيدة ومكملات الدين، إذ يقولون في هذا الصدد: من ليس له شيخ، شيخه شيطان. وقد أورد الفقيه "عبد الواحد بن عاشر" (...) قوله:

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك

يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه 1

لذلك وجدنا الشعر الشعبي، ومن خلال قصائد مدح الأولياء ومشايخ الطريقة قد نشط هذا الحراك الروحي الاجتماعي في الحضرات والوعيدات والأفراح من أعراس وحفلات الختان وفي المناسبات الدينية، وهكذا دعم الشعر روابط الجماعة المنتمية لهذه الطريقة أو تلك وحافظ على حالتها الاجتماعية وحال دون تمزّقها وتشتّتتها.

ومن الأشعار المشهورة التي يرددها أتباع الطريقة القادرية بوادي سوف في كل المناسبات و عملت على تعزيز اللحمة الاجتماعية والروحية بينهم قصيدة لـ "محمد بن تواتي" المعنونة بـ (رايس الصلاح) الذي تحمل كرامة شفافه من شيخه "سيدي عبد القادر الجيلاني" الذي زاره في المنام . يقول في مقطوعة منها:

رايس الصلاح مالك سيدي عبد القادر

ترفد اللي طلح سيدنا ما جاش لينا

ليخمس سنين من صدري نلاجي

شوف يا ماذا نراجي

غيثنا بدواك ساجي

بيه واجي في الجواجي

نعود بيك أنا نحاجي

تتبرى الأجراح

يا شريف اراح ليا

كل مسا و صباح

غيث من عطشان ريقه

شوف عياطي بالحريقة

السيد ما ينسى وليده بالحقيقة

في طريقة ما يطيقه

راه صوتي باح

جلي من صدر الضيقة

للقفل مفتاح يا شريف اراح ليا 2

ماك حلال المسكر

أ- شعر الغربة والحنين إلى وادي سوف:

لعب الشعر الشعبي دورا كبيرا في تعزيز الروابط الاجتماعية بين بعض السوافة المغتربين خارج الوطن والأهالي في أرض الأجداد. وكان شعر الغربة والحنين إلى الوطن يتداول على نحو واسع بين المغتربين والأهالي مشكلا رابطا وجدانيا وحميميا بين الطرفين إلى درجة تهاطل الدموع الحارة عند سماع هذه الأشعار. فقد كان بعض سكان وادي سوف يلجئون بسبب صعوبة الحياة وقساوتها إلى الهجرة إلى الخارج والعمل هناك من أجل الحصول على لقمة العيش وهناك من البعض لا يرجع إلى

أرض الوطن إلا وهو شيخ هرم، مما ولد الحنين إلى أرض الوطن وأخذ وجع الغربة يفعل فعله في نفوسهم.

وها هو الشاعر "الهادي جاب الله" (1882-1978) المولود في زاوية سيدي عبد الله بوادي سوف يعبر في قصيدة له عن أوجاع الغربة والحنين إلى وادي سوف ويصف معاناته وألم الفراق ووحشته ومدى اشتياقه لعائلته وأصدقائه بأرض الأجداد، فيقول:

خوتي ملّيت من الغربة طم الكربة

نخدم لا تنفّش الهربة

خوتي من الغربة ملّيت

ولا قديت

نبطل ما نخدمش عييت

مسرح نمشو للبيت

نولو صربة

بايت نضجر من الغربة

لواش الحرق

بونادم قسمه على ربّه

نصبر لله واش اندير

الصبر خير

نطلب من ربي يدير الخير

.....

خوتي كي نخرج من وطني

نكسب بطني

نتوكل على اللي هبطني

تبكي الوالدة الي جابتني

وجمع الغربة

وأحابي واندادي صربة 3

كما ساهم الشعر الشعبي في منطقة وادي سوف بدفع الثورة الجزائرية إلى الأمام حيث ناضل أهل سوف وجاهدوا الاستعمار الغاشم وخير دليل على أن الشعر الشعبي السوفي لعب دوره بدقة لمحاربة المستعمر هو ما حصل للمجاهدة السوفية "فاطمة منصوري" شاعرة الثورة الجزائرية التي كانت خير نموذج للحراك الاجتماعي ذي طابع سياسي حيث عندما بلغت القائد الفرنسي وشاية عن نشاطها، اعتقلها في مركز التعذيب في بلدية الدبيلة، وعندما سمع ترجمة أشعارها خشي من تحريضها للمواطنين ضد قوات الاحتلال، عندها طلب منها أن تتوقف عن قول الشعر فردت عليه بكل جرأة وشجاعة قائلة

كونش لربحنا الحرية

حالفة لا نبطل لفتان

فكلفها ذلك سنتين سجنا ولقد التحق كثير من شباب المنطقة بالثورة في الجبال وخاصة من عرش الشاعرة أولاد عمارة بسبب قصائد الشعر ذات التأثير القوي على النفوس. 4

وهذا يعني أن الشعر الشعبي كان له وقعا على النفس الجزائرية عامة وأفراد منطقة وادي سوف خاصة فولدت لهم العزيمة لمحاربة المستعمر الغاشم مما مكننا من استرجاع حريتنا واستقلالنا هذا من جهة ومن جهة أخرى نستطيع أن نستثمر هذا التراث الشعبي في إيقاظ همم الأفراد في الجزائر من أجل استعادة الجزائر التي هي الآن مستعمرة من طرف بعض الأشخاص الجزائريين لذلك نستطيع استنطاق هذه الأشعار الشعبية سواء في منطقة وادي سوف أو غيرها من مناطق ربوع الوطن لإيقاظ هذا الجيل ودعوته للتحرك وبذلك يكون الشعر الشعبي الذي يحمل قيما ومبادئ صالحة في كل وقت وزمان.

ب- التعبير عن عاطفة الحب ووصف المرأة:

بلغ تمسك الرجل السوفي بالنخلة مبلغا عظيما في نفسه ووجدانه، فلم تعد بينه وبين النخلة تلك العلاقة الميكانيكية بل تعداه إلى العشق والحب واعتبارها واحدا من أولاده أو بناته فراح يأخذ من عناصر النخلة ويصف بها أحب شخص إلى قلبه على غرار هذا الشاعر الشعبي المجهول الذي أغدق على محبوبته كامل أوصاف النخلة فيقول في قصيدته المعنونة بـ "وراس خالي" :

تعطي جيا... اوراس خالي كان...

تعطي جيا.. ردّي الخبر و ارجع ليا

وراس خالي كان

قدّك ضاوي .. قدّك كالغرس القبلاوي..

ها الدقلة طابت خضراوي.. و مادينها للبي هدية..

وراس خالي كان 5

وجدير بالذكر أن هذه القصيدة مغناة وملحنة وتعتبر من الأغاني الشعبية المتوارثة منذ القدم وحتى الوقت الحالي لا تزال تُغنى في الأفراح والمناسبات.

ت - النخلة صمام أمان للأسرة من الفقر:

إن الحياة الاجتماعية الهائلة والسعيدة لا يمكن تأمينها سوى بغرسة النخل الذي يؤدي انعدامها إلى تهديد الأسرة بالتشتت وهروب الزوجة لأهلها من فرط الجوع. وقد دعا الشعر الشعبي صراحة إلى أخذ الحيلة من التمزق الأسري الذي ينجر عن غياب النخلة لدى الزوج مثلما جاء على لسان هذا الشاعر:

اخدم على روحك و اتهنى و دير غروس ملاح

بنات عمك هرين عنك وراحن للسرّاح 6

كما كانت المرأة السوفية تخشى الطلاق لأنه هادم للأسرة ويحط من شأن المرأة بسبب المجتمع الذكوري، وهذه الشاعرة "أم الخير بنت الحسين قعيد" -رحمها الله- من حي القعايدة بالرقيبة استنجدت زوجها، "بشير قعيد" أن لا يطلقها اعتقاداً منه أنها عقيم، فطلبت منه أن يتزوج أخرى ويبقيها ضرة تحت جناحه، ولكنه رفض وأصر على طلاقها وتزوج غيرها ولكنه ظل -رحمه الله- عقيماً حتى وافته المنية، والشاعرة تزوجت بعد طلاقها وأنجبت ولداً وبناتاً. تقول الشاعرة "أم الخير قعيد" في ذعر ومرارة شديدة عندما بلغها نبأ طلاقها:

و العبد يصبر على حكايم الله

الصبر جاني حار يا ممره

اللي قلب عنده جاب التخميمه

الصبر حار فوت القيمة

الله يبعدك علاش مجهمنا

الله يلعنك يا بليس اللاهي بينا

الصبر حدجة و العدى قطران 7

الصبر جاني حار

هذا يعني أن الشعر الشعبي كان له الدور الواضح و البارز في النهي عن أمور كثيرة منها عدم الظلم المرأة و انعدام الطلاق و الانفصال الذي يشئت الأسرة و مثل هذه الأشعار يمكن استثمارها في وقتنا الحالي من أجل التنمية الاجتماعية خاصة فيما يخص قضية الطلاق التي أصبحت منتشرة جدا لذلك نستطيع استثمارها للحد منها و لو قليلا.

2- فاعلية الشعر الشعبي في التنمية الاقتصادية:

أ- فاعليته في غرس قيمة العمل والسعي إلى الرزق:

ساهم الشعر الشعبي في التنمية الاقتصادية بوادي سوف، فلقد لعب دورا داعما ومحفزاً ومحركاً للنشاط الاقتصادي في منطقة وادي سوف حيث كان الشعراء باعتبارهم نخبا مثقفة ومستنيرة مقارنة بعموم الناس يبدعون الأشعار التي تصب خاصة في مجال العمل والتمسك بغراسه النخلة بوصفها المصدر الاقتصادي الأول في المنطقة مع التغني بمحاسن النخلة والمحافظة على مصدر العيش وضمان الاكتفاء الذاتي وتسويق الفائض منه. كما حث الشعر الشعبي على محاربة الكسل والبطالة وعدم التفريط في النخلة وقد جرب سكان وادي سوف الكثير من الأعمال كتربية المواشي والرعي ولكن لم يجدوا أفضل من النخلة فاعتبروها مصدر عيش السكان واتقاء من الفقر والمجاعة.

- محاربة الكسل والحث على غراسه النخيل:

وفي هذا يقول الشاعر السوفي "العربي بن الطاهر دوقة" المعروف بالحثّان في قصيدته المعنونة بـ (الحثّان) التي يمجّد فيها قيمة العمل وخدمة النخلة التي تضمن له رزقا وبركة في الدنيا:

غير أخدم على الحثّان في الدنيا ولاخرة مضمن

كي عدت نرقى ونحدر بعلاقتي على الحثّان

كي اسمع بي سيدي قال لي ريح يا شومان

حين بديت نخدم في هودي توكلت و درت مجهودي 8

- النخلة تطالب بالخدمة والفلاح يدعوها للإنتاج:

لم يكتف الشعراء بوصف النخلة بل أجرى بعضهم الكلام على لسانها، فراحت تطالب صاحبها المتكاسل بأن يخدمها وتدفعه للعمل لكون المال ينفقه في خدمتها ويدفع عنه الفقر حيث تقول دقلة نور على لسان الشاعر "محمد سويعي" المدعو "اللوذي" في قصيدته (ثارت عركة في لبرور):

قالت الدقلة صيتي عالي ما تنغوشي هز هبالي

تهبط التجار على جالي تبدأ تبذر في الماليه 9

- إبراز المفاضلة في أنواع التمور:

فضل الشاعر "علي عجيبة" إبراز القيمة الاقتصادية للنخلة في حوار طريف أجراه على لسان نخلي الدقلة والغرس في شكل مشاحنة بينهما وهما تتنازعان وتفاضل إحداهما الأخرى بنوعية وحجم بأسلوب ثقافي شعبي لترويج القيمة الاقتصادية للنخلة في الوعي واللاوعي الجماعي عن طريق حفظ هذه القصيدة واستمرار تداولها من جيل إلى جيل يقول الشاعر:

قال لها الغرس مني هتي كيف صبت لمطار اخيبت

ولا سوقك لا ما جبتي أمرضتي أوقعتك لضرار

نايا صادق في صأبيتي من صغري ثاير صبار

قتله الدقلة قدر روحك ناغر مني مكبر جوحك

هيا وريني مربوحك قل لي هك صارى و صار

قال لها صدي يا مكلوبة علاش نخلي عرضك طوبة

أنت خمارة أو معيوبة واش أيلزك على لو عار

قالت عاد ايعاير فيه أو غششني من غير أمزية

أثماري تمشي بالوقية ديما سمحة و انفدي النار

نتغر مني و يشمت فيا أو ديما في الأنثى حقار...10

ثانيا: فاعلية الحكايات في التنمية المستدامة

1- فاعليتها اجتماعيا:

عبرت العديد من الحكايات الشعبية والخرافية عن مختلف جوانب الحياة الاجتماعية للفرد السوفي،

وساهمت في رص صفوف السوفيين وحافظت عليها من التفرقة حيث كانت الحكايات مصدر إبداع

الجماعة وعامل محافظة على وحدتها، لكون الحكايات كانت تجمع أفراد العائلات مع بعضها البعض

ومن أشهر الحكايات التي كانت تروى في منطقة وادي سوف هي:

حكايات جحا سوف:

تميزت وادي سوف بوجود جحا السوفي وهو الشخصية المصطنعة، المرحّة والذكية حيناً والغبية حيناً آخر، وقد حمل السكان هذه الشخصية الكثير من نواذرهم وحكاياتهم الطريفة التي يبدعونها ثم ينسبوننها إلى جحا السوفي وعندما يريد الفرد، رجلاً كان أو امرأة، طرح نادرة لجحا، يبدأ قوله بـ كايين وحد النهار جحي (جحا بالإمالة) .. ثم يشرع في سرد الواقعة المثيرة فجحا السوفي داهية وحكيم وصبياني تقول "جان سال ميلي" (jeanne Scelles- Millie): «سوف أيضاً لها جحا الخاص بها مثل بقية بلدان المشرق. ولكن جحا سوف متميز هنا، جحا روعي وذو غاية، صاحب دهاء أصيل، وفي نفس الوقت، صبياني» 11، وقد عرضت "جان سال ميلي" في كتابها (12) نادرة لجحا السوفي اخترنا منها واحدة كمثال بعنوان (جحا والأعمى) تقول النادرة: «في أحد الأيام كان جحا حزينا وأراد أن يطرد عنه الحزن بأن يسكر من اللاقمي [عصير التمر الذي يستخرج من رؤوس النخيل ويحول إلى خمر مسكر]، عصير النخلة المخمر تحت أشعة الشمس على أساس أن ذلك سيذهب جميع الأحزان، ولكن الصعوبة تكمن في كيفية الحصول على جرة لاقمي لأنها معلقة في أعلى النخلة، ويتطلب الأمر الاقتراب منها والصعود إليها، غير أن هذا الفعل يترك أثراً على الأرض، فينكشف أمره وهو بدون نقود حتى يذهب ويشتري اللاقمي من السوق، قرر وهو بعيد عن اللاقمية أن يخاصم أعمى يعرفه دائم المرور بهذا الطريق في كل مساء عائد إلى بيته وعند اقترابه صرخ جحا: آه لسعني عقرب! فهرع الأعمى وحمله على ظهره بنية نقله إلى منزله المسكر في ليلة جميلة دون أن يترك وراءه أثراً لأقدامه

تحت النخلة. 12

2-فاعليتها اقتصاديا:

اهتمت الحكايات الشعبية بمختلف أنواعها من طريفة وعجائبية وغيرها بالنشاط الاقتصادي وركزت خصوصا على النخلة وما يدور حولها بوصفها مصدر عيش واقتصاد سكان واحة وادي سوف وسنأخذ بعض الأمثلة عن حكايات شعبية من بينها:

حكاية ولي يأمر في المنام بغرس النخيل:

أمر الولي "سيدي مستور" [ولي صالح يوجد حي في عاصمة الولاية مسمى باسمه] ابنه في المنام بأن ينفذ وصيته في الدنيا بالشروع في غرس النخيل والتوقف عن جلب التمور من خارج وادي سوف وكان سيدي مستور قبل انتقاله إلى دار الآخرة يشير عليهم بغرس النخيل ولم يمتثلوا وعندما توفي رأى ابنه أباه في المنام يحفر قرب زاويته، فسأله عن ذلك فلم يجبه ففهم منه غضبه عنه فتلطف معه ووعده أنه سيغرس نخيلا فاستيقظ مرعوبا من ذلك ثم توجه إلى الأرض التي قرب الزاوية فحفر وغرس قليلا من غير تعب ولا كلفة في المكان المعروف الآن بغوط "سيدي مستور" ثم رآته الناس فاتبعوه وفعلوا كفعله، و مازال يتزايد شيئا فشيئا حتى امتد من الوادي إلى الجهة الجوفية و مازال يتفرع و يزداد إلى زمننا هذا. و بهذا تكون هذه الحكاية الشعبية قد ساهمت في التنمية الاقتصادية و ذلك

بغرس النخلة . 13

النخلة تستغفر لزراعتها:

ونجد في الثقافة الشعبية بعض الحكايات التي تشيد بمنشئ الغوط وزارع وتعتبره أفضل بكثير من الشخص المشتري الذي لم يزرعه ولم يعرق عليه بل إن النخل يستغفر ويدعو الله لصاحبه بالخير كما جاء في هذه الحكاية تروي أن رجلا غنيا دخل مرة إلى غوط فلاح، فسمع أشجار النخل تستغفر وتدعي الله له بالخير، فخطرت بباله فكرة أن يشتري منه الغوط لينتفع باستغفار النخلات له خرج مسرعا من الغوط وتوجه إلى مالكة وطلب منه أن يبيعه الغوط في البداية رفض المالك البيع ولكن أمام إلحاح

المشتري ومبلغ المال المغربي المعروض عليه باعه إليه. عاد المالك الجديد إلى الغوط وشاهد النخيل ولكنه عندما سمعه مستمرا في استغفاره ودعائه ليس إلى سيّده الجديد ولكن إلى زارعه. وهنا عاد إلى البائع وحكى له المعجزة التي كان شاهدا عليها لمرتين وطلب منه استرجاع غوطه، فابتهج المالك الأول لما سمع وقال: لو كنت أعلم أن نخلي يحبني إلى هذه الدرجة ما كنت بعتة إليك ولو أعطيتني نخله ذهباً. 14

ثالثاً: فعالية الأمثال في التنمية و تقديس العمل

المثل الشعبي السوفي بشتى ضروب الحياة المحليّة بخلوها ومزّها عبّر بصدق وشفافية واحتل في الخطاب الاجتماعي مكانة هامة حيث لا تكاد تخلو جلسة قصيرة أو طويلة ثنائية أو جماعية من ورود مثل شعبي أو أكثر يستشهد المتكلم على ما يقول حتى يقنع مستمعه وتمتاز الأمثال بأنها موجزة وبليغة الألفاظ، كثيفة المعاني، سهلة النفاذ إلى القلوب والعقول ويورد المثل من لدن صاحبه رجلاً كان أو امرأة في أحيان كثيرة على سليقة وتلقائياً حسب الحاجة وفي سياق الموقف وفي الحقيقة ليس من السهل جمع وتدوين كل تراث الأمثال الموجودة في واحة وادي سوف لأنه ليس ثابتاً أو محصوراً في ناحية واحدة ولكل مثل يقال مغزى معين من بينها ما يلي:

الحثّ على كسب الرزق وتعلّم الحرف:

قد حثت الكثير من الأمثال السوفية على العمل والترغيب فيه وهذه بعض الأمثال الداعية إلى العمل وكسب الرزق وهذا الجدول يوضح ذلك:

أخدم على عرضك يخدم عليك
أخدم على اليهود والنصارى ولا قعدانك خسارة

أخدم والقبول على الله
أخدم وتيه ونهارك اديه
أخدم يا عبدي انعينك أرقد يا عبد نهينك
أخدم يا صغري لكبري وأخدم يا كبري لقبري
الحركة بركة
الصنعة اللي مغنتيشي تستر 15

رابعا: فعالية الألغاز في تثقيف الجماعة

لعب اللغز دورا أساسيا في تحريك الحياة في جانبها الترفيهي في وادي سوف فلم يغفل الرجل ولا امرأة أبدا عن مهمة تنشيط الذهن ورفع مستوى الثقافة والخبرة الحياتية الناتجة عن ممارسة أنشطة ذهنية من شأنها إكسابه المعارف وتفعيل ذكائه وخياله وذاكرته والترويح عن نفسه. وقد كانت الألغاز شديدة الوقوع ويتوقف على حلها استمرار نشاط الجماعة الشعبية مثلما هو الحال في "ألغاز الرباط" التي تعتبر نشاطا تنافسيا بين الشعراء على الزعامة ونيل اعتراف الجماعة الشعبية أمام الملأ في الأعراس حتى يبقى العرس حديث العام والخاص بين القرى والبوادي وألغاز الرباط هي ألغاز شعرية خاصة بحفلات الأعراس ومن بينها هذا اللغز في حفل عرس:

حيث شاعرا يتحدى شاعرا آخر في عرس فيلقي عليه أشعارا ملغزة صعبة، فإذا عجز عن الحل فما عليه غير الانسحاب من أمامه فيقول الشاعر شعره حتى يصل إلى أن لغزه لا يستطيع حله أحد وأن القفل رماه في البحر ولا يصنع مثيله ولا يباع ويشترى في الأسواق فيقول:

القفل في البحر لحناه لا عدت نلقاه

ولا من يصنع مثيله لا يتوجد بيع وشراه

الناس اللي تقدّه قليله 16

وقد تفاعل الفرد السوفي اجتماعيا مع الألغاز الشعبية التي كان يبدعها نثرا وشعرا، ويتداولها الرجال والنساء أثناء فترات الزيارة والعمل ووقت الراحة تجري بشأنها المنافسات داخل الخيم في مجمع من الناس وفي أغلب الجلسات الاجتماعية أو في السهرات في البيوت على نخب شرب الشاي والفول السوداني وكان اللغز الصعب يلقيه صاحبه على فرد أو جماعة، فيظل يتداول من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى أخرى لعدة أيام يشكل فيها اللغز المستعصي عن الحل محور الأحاديث، فيلجأ الناس إلى الحكماء والكبار لعلمهم سمعوا به من قبل فإذا وجدوا الحل فيها ونعمت وإذا لم يجدوه عادوا إلى صاحبه ليعطيهم الحل. وبهذا يكون اللغز يعمل الذهنية بطريقة خفيفة وسنورد مثالين عن هذه الألغاز الذين يحملان بعدا اجتماعيا يتمثل في الدعوة لخدمة الوالدين وطاعتها:

اسمها بالميم والميم في القلب محلاها، إذا غابت الميم شد من ليام

بالرحمة والخير هيآلات، ماكانش فيهم هيهات، يا سعد اللي في خدمتهم مات. 17

خاتمة:

بعد استعراض كل ما جاء في هذه الورقة البحثية حول دور الأدب الشعبي في التنمية المستدامة خلصنا إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

1- هناك العديد من المعارف والخبرات الشعبية يمكن تطويرها والتمكين لاستدامتها اقتصاديا

واجتماعيا. لحل بعض المشاكل الراهنة وفتح فرص التكوين أمام الأجيال الحاضرة لتوفير

مناصب شغل على غرار غرس النخل.

2- حافظت الثقافة الشعبية على هوية منطقة وادي سوف من التمزق والتلاشي أمام زحف العولمة.

3- يمكننا استثمار الثقافة الشعبية والعمل على استدامة عناصرها اجتماعيا واقتصاديا من أجل دعم الاقتصاد الوطني وجلب العملة الصعبة في زمن التقشف الذي نراه اليوم كتصدير التمور إلى الخارج.

4- الأدب الشعبي بتعدد مكوناته مصدر إلهام للمبدعين والفنانين ومحور اهتمام ويبحث لدى الدارسين لحل الكثير من مشاكلنا المطروحة اليوم، والكشف عن كنوز تراثنا الثري وإبرازه للعالم لكي تستفيد منه البشرية في إطار التكافل والتضامن الإنساني والتنوع الثقافي.

5- وأخيرا الأدب الشعبي يتوافر على فعاليات كثيرة محرّكة، لا غنى عنها في أية مشاريع وبرامج أو إستراتيجيات التنمية المستدامة مادام هدفها تحقيق الرفاهية والازدهار للإنسان في إطار مراعاة الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية ككل غير منفصل.

6- الأدب الشعبي بأنواعه المختلفة شعرا أو حكاية أو مثلا أو لغزا ينمي العزيمة عند الفرد و يدفعهم للأمام .

الهوامش:

1- عاشوري قمعون، الشعر السوفي في بلد وادي سوف، إصدارات دار الثقافة، الوادي، الجزائر، ص14.

2- المرجع نفسه، ص50.

3- أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، إصدارات دار الثقافة، الوادي، ج 2، الجزائر، 2008، ص79-80.

4- أحمد زغب، ديوان فاطمة منصوري (شاعرة الثورة التحريرية في وادي سوف)، دار الثقافة، الوادي، الجزائر، 2012، ص28.

5- المرجع نفسه، ص50.

6- أبيات الشاعر مروية على لسان الشيخ أحميدة غنبازي، الغوط تراث إنساني عالمي مهمل، مجلة القطوف، دار الثقافة، الوادي، الجزائر، عدد 15 أوت، سبتمبر، 2015، ص 06.

7- أم الخير 61 سنة في بيتها بتاريخ 25-12-2016 نقلا عن: الأستاذ الدكتور أحمد زغب أستاذ مختص في الأدب الشعبي بجامعة الوادي.

8- أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون، ص73.

9- المرجع نفسه، ص73.

10- المرجع نفسه، ص 75-76

11 - Jeanne Scelles Millie.op.cit.p247

12 - Jeanne Scelles Millie.op.cit.p253

13 - Jeanne Scelles Millie. op.cit.p253

14 - Robert thiriet.op.cit.p4

15- بن علي محمد صالح، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، مطبعة سخري، الوادي،

الجزائر، 2012، ص 160-173-177

16- بن علي محمد صالح، الألغاز الشعبية بوادي سوف، إصدارات مديرية الثقافة، الوادي، الجزائر، 2012، ص75.

17- كمال بن عمر، الألفاظ الشعبية في منطقة وادي سوف، جمع وتصنيف ودراسة، مذكرة مقدمة
لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي الجزائري، جامعة باتنة، 2007، ص128.